

## عروض كتب

تفين سيسكو، الشبيبة المالية: بين الاستقلالية، التعبئة والاقصاء، باريس لارماتن، 2015، عدد الصفحات 268.

يحلل الكتاب الوضعية المزرية للشباب في أحد دول الساحل الإفريقي المتمثلة في مالي. يواجه الشباب في هذا البلد وعلى غرار البلدان الأفريقية مشاكل ترتبط بالحصول على عمل وعلى تكوين جيد. إن الإسهامات الواردة في الكتاب هي عصارة أبحاث أنثروبولوجية ميدانية، غايتها، الأولى ترتبط بتأسيس شبكة من الباحثين الماليين الذين يتكفلون بتحليل الإشكاليات الأساسية بمالي. أما الغاية الثانية، فيرمي إلى تحليل السياسات العمومية لمشاكل الشبيبة وحلها. الكتاب مقسم إلى أربعة أجزاء. يعالج الجزء الأول هجرة الشباب لتحسين ظروفهم الشخصية. وفي هذا الصدد يجيب إسهام كل من ميك غدراس وماموتو على هذا الموضوع. أما الجزء الثاني من الكتاب فيختص بتحليل المسار التعليمي والتكويني للشباب المهاجر، إذ تتناول أمانى سمنا وتفين سيسكو تحليل الظروف والعراقيل وأسباب نجاح التعليم والتكوين في البلدان الغربية بالمقارنة مع ما يوجد في مالي. ويخصّص القسم الثالث من الكتاب إلى حالات استثمار في سوق العمل من طرف الشباب، إذ يقترح بكاري طراوري خريطة شروط العمل بمالي وبأفريقيا. وفي المقابل، ينصب انشغال بيار بريدوم على دور ومكانة التعليم الديني الإسلامي في التكفل بالشباب المسلم الذي يبحث عن الإدماج المهني. وفيما يرتبط بإسهام بولاي كايتة، فإنها تتناول إشكالية مشاركة الشباب المهاجر في التنمية. ويعالج الفصل الأخير من الكتاب مسائل تتعلق بالفضاء السياسي ومطالب الشباب المالي، حيث يهتم لمين سفان بالتساؤل حول ظروف الشباب وتمثيلهم في الأحزاب السياسية، كما تدرس أمرواز داکو علاقات الشباب بالسلطة وتصوّره للمستقبل. ونجد في هذا الجزء من الكتاب تأملات للمين بغيوغو وإميل بودفان حول نماذج التعبير عند شباب الأحياء وتطلعاتهم.

تبقى هجرة سكان المستعمرات القديمة تجربة صعبة، إذ يواجه هؤلاء واقعا يرتبط بالتهميش والتمييز. و"الحذر الذي يحيط بهم" (ص. 44) والمتمحور حول مسائل عنصرية وعرقية وأخرى متعلقة بالتسلط. ويشكل النفي الكبير للمهاجرين مشكل مجتمعي حقيقي بسبب المشاكل التي يطرحها، فالطرد الذي كان يتم في

السابق في سرية ويخص المجال العائلي والجماعتي، أصبح اليوم موضوعا تتناوله وسائل الإعلام المختلفة. ويتسبب هذا الترحيل في قلب أوضاع الترتيب الاجتماعي لأنه يؤدي إلى "خسارة الحقوق" (ص.57) كما يعرض المرحل (أكبر الأولاد عادة) وأيضا عائلته وجماعته إلى صدمة.

يعاش هذا الغياب المزدوج (صياد، 199) سواء بمالي أو ببلد الاستقبال على أنه فشل لمسار الهجرة، فالطرد يصيب الصحة العقلية ويؤثر على اندماج المرحل في سوق العمل... وتبين هذه الاستجابات أهمية منح شهادات الإقامة في بلدان الهجرة باعتبارها عنصر اعتراف اجتماعي، وتعتبر في البلدان الأم وسيلة لرد هذا الاعتبار، بحيث يعاد تحديد منزلة المغيرب كفاعل، وينتج عن كل هذا إعادة تشكيل الفضاء الاجتماعي والجغرافي والمهني، وقد يمنح الوصول إلى الملكية العقارية للمهاجر مكانة "مميّزة" (ص.178) في المجتمع باعتباره دليلا على نجاح مسار الهجرة.

تكتسي سيرورة الهجرة من الجنوب نحو الشمال حسب الباحث، أشكالا متعدّدة وتعبر عن عدم مساواة في التنمية، وعن الأزمات السياسية والاقتصادية والتغيرات المناخية والبيئية وتمس هذه الحركة كل الفئات الاجتماعية الراغبة في تغيير نموذج حياتها وتحقيق الذات. لقد كانت ظاهرة الهجرة في سنوات الخمسينيات والستينيات مُشجعة من قبل الدول الغربية، إلا أنّها أصبحت في الوقت الراهن مصدر نزاع. ويتوقّف نجاح أو فشل مسار الهجرة لهؤلاء الشباب على درجة طموحاتهم الشخصية، انتمائهم، مستواهم الاجتماعي وحالتهم المدنية، وتبقى العوامل المتعلقة بإشكالية النجاح موضوعا يستحق التعميق، فالمسار التعليمي لشباب مالي بالمؤسسات التعليمية بفرنسا يشبه المسار الخاص بالفرنسيين، غير أنّ شباب مالي يعيشه بشكل متطرّف وعلى العموم، فإنّ هذا الموقف راجع إلى صعوبات الإدماج في المجتمع الفرنسي.

تبقى بطالة الشباب والعمل الهشّ إحدى الوضعيات السائدة في بلاد مالي، والدول الأفريقية، فالكثير من الشباب فقراء مع أنّهم يعملون واحتمال اللامأمن الغذائي يتجاوز 50٪ (ص.131). إنّ مجموعة معتبرة من الشباب الأفريقي منقطعة عن سوق العمل في السياق الراهن لاقتصاد أفريقيا، وهذا راجع إلى نقص العرض أو لغياب أو نقص خدمات الإعلام. هناك إثباط كبير لعزيمة الشباب في المناطق الحضرية بسبب شدة المنافسة أو إشباع السوق بهجرة شباب المناطق الريفية التي

تأمل إيجاد عمل. وهكذا، تضيع الكثير من الطاقات البشرية خاصة في صفوف النساء اللواتي يغادرن المدرسة في سن مبكرة ويلتحقن ناذرا بسوق العمل (ص130). ويطرح هذا الوضع مشكلا هيكليا لعرض الشغل ومشكل تكوين كفاءات تستجيب لتطلعات سوق العمل.

يبقى الشباب والنساء -وبالرغم من عددهم الكبير فئتين عمريتين غالبيتين- الأقل تمثيلا في المجالس البرلمانية بمالي، فمشاركتهم قليلة في العملية الانتخابية، وهم مهمشون بحجة نقص تجاربهم، ويلاحظ عجز متصاعد لمشاركة الشباب السياسية، حتى قبل أحداث سنة 2012، الشيء الذي يطرح إشكالية المسؤولية السياسية لهذه الفئة. وقد تحول هذه الوضعية دون الابداع الجماعي على كل المستويات، وقد تؤدي إلى الشرح الاجتماعي.

ونتيجة لكل هذا، يبدو أنّ تحديد مجال سياسي للمنافسة الانتخابية أمر صعب للفاعلين السياسيين الشباب، فاختلال التوازن عظيم بين الأحزاب الشابّة والقديمة، غير أنّ هؤلاء الشباب يضلّون منفتحين على العالم ويطوّرون استراتيجية تفاوض تدريجية اتجاه السياسيين الكبار. وعن طريق هذه الاستراتيجية، يتوحّى الشباب الدنو من مركز السلطة من أجل التعبير عن رؤيتهم ووضع حدّ لوضعية التبعية المستمرة. ويستعمل الشباب شبكات التواصل الاجتماعي ووسائل الاتصال الحديثة لتوصيل هذه الرسالة ولتعبئة أنصارهم.

يطرح الكتاب موضوع وإشكالية تعريف الشباب، كما يعالج الكتاب أيضا قضية فهم وتحديد النماذج الاجتماعية لتكوين الهوية عندهم. ويتساءل المشاركون في الكتاب عن مسار التكوين المتاح للجامعيين الماليين، ومصير المتسرّبين من التعليم الثانوي. لقد حاولت الدراسات الواردة في هذا العمل الأكاديمي مسائلة سياسات التكفل بهذه الشريحة الاجتماعية، كما عالجت ظاهرة الهجرة ومساوئها ومحاسنها وحدودها وإسهام المهاجرين الماليين في الاقتصاد الوطني والتنمية الاجتماعية. تساعد المعلومات الواردة في الكتاب على إدراك بأنّ الأزمة المالية لسنة 2012 تسجّل قطيعة تاريخية فيما يخص إرادة الشباب في تولي زمام الأمر، والتي تعبّر في النهاية عن امتداد الاحتجاجات الاجتماعية السابقة (إضراب الطلبة سنة 1980 و1990 والتي عجّلت إسقاط نظام موسى طراوري). وينعكس هذا في إعادة تشكيل مكانة الشباب في المجتمع المالي، كما يؤكد كذلك عن التطوّرات في علاقات الشباب بالسلطة، ويشرح كيف تستثمر مفاهيم مطوّرة

في البلدان الغربية مثل الديمقراطية، الاستقلالية والحرية من طرف الشباب المالي، كما تبين أيضا هذه الأزمة كيف يتعسر على السلطات دعم هذه الشبيبة وايجاد تسوية بشأنها.

### خديجة مقدم

حلومة شريف (إشراف)، تمثلات اجتماعية وسياقات ثقافية، وهران، منشورات جامعة وهران 2015، عدد الصفحات 201.

يمثل الكتاب الموسم "التمثلات الاجتماعية والسياقات الثقافية" ثمرة ورشة تكوينية نظمت من طرف كلية العلوم الاجتماعية بجامعة وهران 2، قسم علم النفس، ودار طلبة الدكتوراه بالتعاون مع جامعة تونس المنار ومعهد البحوث المغاربية المعاصرة IRMC بتونس. يستعرض الكتاب مضامين اللقاء الذي جمع أساتذة جامعيين وطلبة دكتوراه من الجزائر وتونس مع الباحثة دونيس جودلي Denis Jodelet المختصة في نظرية التمثلات الاجتماعية.

يرتبط مفهوم التمثلات الاجتماعية حسب سارج موسكو فيسي Serge Moscovici على المجال التفاعلي بين الفردي والاجتماعي، وهي كأول مقاربة في علم النفس الاجتماعي وجّهت العديد من الأعمال وفتحت المجال على طرق ونظريات جديدة، مثل نظرية المبادئ الأساسية لدونيس جودلي Denis Jodelet ونظرية النواة المركزية لجون كلود أبريك Jean Claude Abric، وعلينا القول أنّ مفهوم التمثلات الاجتماعية يلقي اهتماما معرفيا متناميا في العديد من جامعات العالم، وفي تخصصات متعدّدة بغض النظر عن نوعية المقاربات المستخدمة في البحوث.

عرض الجزء الأول من الكتاب مقالات تمّ طرحها في الورشة وخصّص مضمونها للمعارف النظرية حول مفهوم التمثلات الاجتماعية، وقد تناولت التساؤلات المرتبطة بالصحة والمرض من خلال أعمال ميدانية. وقدمت دونيس جودلي المعارف الأساسية لفهم نظرية التمثلات الاجتماعية في مقاربتها الصحية وسلطت الضوء على دور الثقافة والتاريخ في الممارسات الصحية والتي تمّ توضيح فعاليتها من خلال إسهامات مجموعة من الأبحاث أجريت في سياقات مؤسساتية وثقافية مختلفة. وركّز المقال الثاني المقترح من طرف محمد مبدول (جامعة

وهران2) على ضرورة الأخذ بالاعتبار أقوال وتصرفات الآخر والتي تسمح بالتعرف على المعاني التي أعطيت من قبل المرضى للصحة وللمرض والتي يمكن أن تكشف عن العمل الصحي الخفي وغير المعترف به رسميا والممارس من قبل النساء في الفضاء المنزلي.

وأما شريف حلومة(جامعة وهران 2) فتقترح مقالا تعالج فيه موضوع التمثلات الاجتماعية من زاوية تحليلها للعلاقة بين الفرد والآخر المماثل أو المخالف، وتستعرض ذلك في إطار سياق بناء الهوية في حالات ووضعيات المعارضة والتفاوض بين تمثلات الذات وتمثلات الآخر والتمثلات المفترضة. وترجع الباحثة هذه الأخيرة إلى معاش الفرد ضمن علاقته مع الآخر، والتمثلات التي يحملها عنه الآخرون. أما مقال حسين فسيان(جامعة وهران 2) فيشير إلى الجانب النشط من الفرد في إنتاج التمثلات الاجتماعية حول الجسد وأدوار الجنسين، ويركز على مكانة المرأة في الثقافة العربية الإسلامية والتمثلات حول الجسد بالاستناد على نظرية الشخصنة بوصفها سيرورة لتشكيل الهوية في سياق البحث عن المعنى وتحقيق الذات والاستقلالية. وأنهت الباحثة ذرة بن عليا (جامعة تونس المنار) الجزء الأول من هذا الكتاب بعرض حصيلة معرفية حول طرق معالجة الباحثين لمفهوم التمثلات الاجتماعية، كما قدمت لمحة عامة ونقدية عن نظرية سارج موسكو فيسي باعتبارها وريثة النظرية الجماعية لدوركايم، واختتمت ذلك بعرض توجيهات نظرية ومقاربات للتمثلات الاجتماعية واستخداماتها المختلفة في العلوم الاجتماعية.

أما الجزء الثاني من هذا الكتاب فقد خصص لعرض مجموعة من المقالات المقترحة من طرف طلبة الدكتوراه من تونس والجزائر، والتي اهتمت بمواضيع مختلفة كانت التمثلات الاجتماعية مفهومها المحوري في الدراسات الميدانية المستمدة من مواضيع رسائل الدكتوراه وتمّ عرضها على شكل مداخلات تمّ مناقشتها في الورشة.

يعكس هذا الكتاب وجهات نظر متباينة حول مفهوم التمثلات الاجتماعية، كما يظهر ثراء الخبرات الميدانية انطلاقا من الثقافات المختلفة للفاعلين الذين شاركوا في هذه الورشة. إذا كانت غاية هذا الكتاب هي تثمين التجارب البحثية للأساتذة المشاركين في عمليات التكوين، فإنّ التوجيه وتكوين الطلبة على التعامل

الحسن مع هذا المفهوم كانت الغاية الثانية المبتغاة من طرف المشرفين على هذه الدورة التكوينية الهامة والتي أثارَت التساؤلات حول التمثلات الاجتماعية في إطار العلاقة مع المجتمع، النوع، الصحة أو غيرها. نعتبر في الأخير أن هذا الكتاب يمثل وثيقة يمكن الاعتماد عليها من طرف الطلبة والباحثين المهتمين بهذا المفهوم.

### هند بوعقادة

سليم شنة، مسارات الهجرة في الجزائر المعاصرة: أفارقة جنوب الصحراء وجزائريون نحو المنفى، باريس، Ed Karthala، 2016

يعالج الباحث سليم شنة موضوعاً هاماً يتعلق بدراسة وتحليل مسارات المهاجرين بدون وثائق في الجزائر في الفترة المعاصرة. يستوحي هذا العمل الميداني من أطروحة الدكتوراه التي تدرج ضمن نقاش حول الوضع الراهن وفي سياق التيار الذي يتعلق بدراسة عبور المهاجرين للحدود، لاسيما في الفضاء الأورو متوسطي. تتجلى أهمية هذه الدراسة في كونها تعد من المواضيع السوسيولوجية المعاصرة التي انبثقت مع بروز ظاهرة العولمة، من خلال انتقال البضائع والسلع و حراك الأفراد من فضاء اجتماعي إلى فضاء آخر. سعى الباحث "سليم شينة"، من خلال موضوع دراسته، إلى طرح الفكرة الرئيسية، والتي تتمحور في مجملها حول محاولة الكشف عن مختلف المسارات التي يتبعها المهاجرون بدون وثائق أثناء حركة الهجرة غير الشرعية من خلال استعمال الفضاء المغربي عموماً والفضاء الجزائري خصوصاً كمنطقة عبور للوصول إلى أوروبا، بالإضافة إلى دراسته للواقع المعيش لدى هؤلاء المهاجرين غير الشرعيين.

طرح الباحث عدة تساؤلات جوهرية من بينها: كيف تمّ تطوير السيرة الأمنية في المغرب العربي؟ ما هو أثر تلك السيرة على الدول - الأمم في العلاقات ما بين الدول المغربية والدول الأوروبية؟ من هؤلاء الأعوان الاجتماعيين وما هي المواضيع المرجعية؟ كيف تبني صورة الآخر في أوروبا، في المغرب العربي، وكيف يبني المهاجر صورة عن ذاته وعن الآخر؟ تعتبر ظاهرة الهجرة "ظاهرة اجتماعية كلية"، على حد تعبير "عبد المالك صباد"، الشيء الذي يجعل منها موضوعاً يستحق الدراسة والتحليل، وهو الأمر الذي دفع الباحث من خلال

هذا العمل الميداني إلى تعميق النظرة في دراسة هذا الموضوع، وتجديد أدواته المنهجية.

وفي هذا السياق، اعتمد المؤلف على منظور متعدّد التخصصات، برز ذلك من خلال تنوّع الأدبيات والدراسات السابقة التي قام باستخدامها حيث ارتكز على أعمال إدوارد سعيد (Edward Saïd) حول المنفى والفلسفة الاجتماعية عند جورج لوكاش (Georg Luckàs) وحول سيرورة التشبيء (Réification) عند أكسل هونيث (Axel Honneth) أو عند ايمانويل رينولث (Emmanuel Renault). اعتمد الباحث في دراسته الإثنوغرافية على المقاربة الكيفية وذلك باستخدام الملاحظات المباشرة لمواقف وسلوكيات الباحثين وعلى إجراء (50) مقابلة (فردية أو جماعية) شبه موجهة ومعقدة مع أفراد مجتمع الدراسة، بالإضافة استخدامه تقنية تحليل المضمون من خلال دراسة وتحليل الخطابات السياسية ومحاولة تقديم قراءة نقدية فيما يتعلق بمضامين بعض المقالات الصحفية التي عالجت موضوع الهجرة المهاجرين بدون وثائق في الجزائر.

تمثل الهدف الرئيسي من هذا العمل في محاولة فهم الهجرة بوصفها حراكا اجتماعيا عموما، ومقاربة عمليات الانتقال ذهابا وإيابا وطرق العبور للمهاجرين بدون وثائق في الجزائر خصوصا. بالإضافة للكشف عن التناقضات بين الخطابات الرسمية والواقع الاجتماعي فيما يتعلق بالهجرة غير الشرعية في منطقة المغرب العربي. إلى جانب دراسة تجارب المهاجرين بدون وثائق والتي تسمح بتسليط الضوء على خاصية العالمية التي تتميز بها هذه الظاهرة، وفي هذا الصدد، تناول الباحث في دراسته جوانب متنوعة، حيث تطرّق للبناء الإعلامي لظاهرة هجرة المهاجرين بدون وثائق في الجزائر، وذلك من خلال دراسة وتحليل الصور السوسيو - إعلامية لهؤلاء المهاجرين، وتوضيح ارتباط تلك الصور بمصالح مختلف الفاعلين الاجتماعيين.

من جهة أخرى، قام الباحث بعرض بدراسة اثنوغرافية تتبع ضمنها مسارات بعض المهاجرين بدون وثائق أثناء عبورهم للحدود بهدف الهجرة غير الشرعية، حيث تمّ إجراء هذا العمل الميداني في منطقتي سبتة ومليلية وفي تماراست. تمكن الباحث من خلال دراسته لهذا الحراك من الكشف عن رؤية متنوعة من خلال تجارب متعددة للمهاجرين بدون وثائق في المنطقة المغاربية. من جانب آخر، اعتمد الباحث على وصف أشكال من التنظيم الاجتماعي لهؤلاء المهاجرين، وفي

هذا السياق تطرّق لدراسة فكرة تشييء المغترب واعتباره سلعة في سوق العمل غير الرسمي. كما كشف عن المقاربة الأمنية من خلال الاعتماد على السيورورة أمنية لمكافحة الهجرة غير الشرعية في منطقة المغرب العربي عموماً والجزائر على وجه التحديد. إلى جانب تناوله مسارات المهاجرين بدون وثائق في الجزائر من خلال دراسة وتحليل للواقع المعيش ومختلف الصعوبات التي تمت مواجهتها أثناء هجرتهم غير الشرعية. بالإضافة إلى تطرّفه للجانب الإنساني من خلال معالجته لطرق التكفل بهؤلاء المهاجرين بدون الوثائق، ومن خلال الدور الذي تقوم به السلطات العمومية للتكفل بهم، بالإضافة لإسهام الجمعيات المهتمة بالدفاع عن حقوق المهاجرين بدون وثائق في الجزائر. وفي الأخير، قدّم الباحث دراسة مونوغرافية للحياة اليومية للحراقة في سيدي سالم بولاية عنابة.

يمثل هذا العمل المقترح من طرف الباحث سليم شنة إثراء معرفياً في حقل الدراسات المهتمة بموضوع الهجرة وخصوصاً غير الشرعية منها الوافدة من بلدان الساحل الإفريقي. فإذا كان الباحث قد ركّز في كتابه على تفكيك الصور النمطية المنتجة عن المؤسسات الاعلامية حول هذه الظاهرة وحول فاعليها الاجتماعيين المباشرين فإنّ مضمون الكتاب يؤكد على أنّ هذا الوضع الاجتماعي قد نتج عنه ثلاثة رهانات أساسية. يتجلى الرهان الأول في الجانب الأمني لظاهرة الهجرة غير الشرعية، وذلك من بسبب ارتباط جزء منها بتفشي الجريمة المنظمة والاتجار بالبشر، أمّا الرهان الثاني فيرتبط بالجانب الاجتماعي الثقافي للظاهرة نفسها من خلال ما تطرحه في مسألة اندماج وتعايش المهاجرين غير الشرعيين في بلد العبور خصوصاً بعد فشل محاولتهم في الوصول إلى بلد الوجهة التي يطمحون في الوصول إليها. أمّا الرهان الأخير فله، طابع سياسي وقانوني ويتجلى جزء منه في دور المنظومة القانونية في تسيير ظاهرة الهجرة غير الشرعية، ودورها في إيجاد آليات للتكفل بهؤلاء المهاجرين، من ناحيتي الحماية الاجتماعية والاستفادة من بعض الحقوق مثل الحق في العمل والحق في الإقامة، خصوصاً إذا كان بلد الوفود يعاني من وضعيات أمنية غير مستقرة.

نورالدين خيراني